وحدة العمل المسلح

على ضوء التطورات الاخيرة في الاحداث

تكتسب الاحداث التي وقعت خلال الاسبوع الماضي في المنطقة العربية اهميتها ليس من النظر اليها بمعزل عن بعضها البعض ، ولكن من خلال مقارنتها ببعضها ، ووضع الحدث منها في مواجهة الآخر .

فحين كانت الدول العربية تجتمع في مؤتمر وزراء الخارجية العرب لايجاد صيغة « للرد » على حرق المسجد الاقصى ، كانت المقاومة الفلسطينية المسلحة تقصف القدس المحتلة بالصواريخ .

وحين كانت الرجعية العربية تحاول استخدام موجة الانفعال التي اعقبت حرق المسجد الاقصى لطمس المعالم التقدمية لحركة الكفاح المسلح الفلسطيني ، خطت المقاومة المسلحة خطوة اضافية في توسيع المواجهة مع العدو ، وضرب المصالح الامبريالية والرأسمالية المتواطئة مع اسرائيل .

وحين كان العدو ، بحرقه للمسجد الاقصى ، يكشف عن جوهره العنصري والرجعي والتعصبي ، جاءت ردود المقاومة الفلسطينية استمرارا للخط التقدمي الذي يرفض تحويل الصدام مع الامبريالية العالمية واداتها المتمثلة في اسرائيل ، في صدام ديني او عنصري .

وحين كان يظهر واضحا ، في الاجتماعات الرسمية العربية ، حرص بعض الدول العربية على التهرب من مسؤولياتها الفلسطينية ، واستخدام « الاجماع العربي » لحماية مناطقها الاقليمي والتراجعي وتحقيق المطامح الضيقة لمنطق السيادة المأزوم ، كانت الجماهير ، في اكثر من عاصمة عربية ، تندفع بعشرات الالوف لتحمل شهداء الارض الفلسطينية على الاكف ، في اعلان صارخ عن الارتباط المصيري والقدري بينها وبين طلائع الثورة ، ورفضها لمنطق السيادة الاقليمي المخادع .

وحين كان المسؤولون الاسرائيليون ، في الاسبوع الماضي ، يكررون تهديداتهم للدول العربية ويكرسون علنا رغبتهم في ضم الاراضي المحتلة، تصاعدت عمليات المقاومة المسلحة في الداخل خطوة جديدة ، ووردت انباء في الصحف الاسرائيلية تعترف بان غزة — مثلا — « تبدو وكأنها منطقة يحكمها المخربون » .

اخطار ومهمات

ان حملة هذه الانباء ، مقارنة ببعضها ، تضيف الى الخط الصاعد لحركة الكفاح المسلح ملامح جديدة وواضحة ، تؤكد من جديد ان الاختيار الثوري الذي عمدته طلائع شعب فلسطين بالدم ، هو الاختيار الاقدر على المواجهة ، والاكثر صوابا في مقارعة الاخطار المحيطة بالامة العربية ، والاضمن في تحقيق النصر من خلال ممارساته الطويلة الامد، والعميقة الغور .

ولا ريب في ان طبيعة مواجهة من هذا النوع ، تكتسب نقتها الذاتية ونقة الجماهير بها من تصاعدها المستمر واتساعها المتواصل وقدرتها الدؤوبة والحية على التحول باطراد نحو حرب تحرير شعبية شاملة ، ستجد نفسها عاجلا ام آجلا في مواجهة اخطار متزايدة ، ومؤامرات متعددة الاطراف ، لانها آخذة في الاثبات يوميا بانها تشكل التهديد الحقيقي لمصالح وآفاق المؤسسة الامبريالية وذيولها المختلفة في المنطقة .

وهذه الحقيقة تطرح بالتالي — اكثر من اي وقت مضى — الضرورة القصوى لرص صفوف فصائل التنظيمات المقاتلة ، والتوصل الى صيغة فعالة وراسخة للوحدة الوطنية الفلسطينية ، تشكل ليس فقط درع الثورة ، ولكن فرصتها الاكبر للتقدم باطراد .

الوحدة الوطنية وافاقها

ان طبيعة الاخطار التي تواجه المقاومة الفلسطينية ، كما تتضح من خلال التناقضات التي بدت في احداث الاسبوع الماضي ، تفرض على الفور ان يكون اي مسعى للوحدة الوطنية الفلسطينية قائما على ادراك مشترك ومتفق عليه لمهمات الثورة الفلسطينية ، وللقضايا المحورية التي تشكل جوهر التحديات التي تواجهها .

وبالتالي فان اي حديث عن الوحدة الوطنية الفلسطينية ، يتجاهل معنى وجوهر تلك المهمات والتحديات كما تبرزها الاحداث اليومية الراهنة ، لن يكون في احسن الاحوال اكثر من الاندفاع ، بعيون مغمضة ، باتجاه حقل الغام خطر .

ان اية صيغة للوحدة الوطنية الفلسطينية لن تستطيع ان تتجاوز اطار الانفعال الحماسي ، **ان هي لم تكن قائمة على ارض مشتركة ، تشكل قناعات متبادلة وراسخة لا يمكن فصمها او التنصل مما تلقيه على اكتاف الثوريين من مسؤوليات .**

وهذه الارض المشتركة لا تستطيع ان تكون راسخة — من جهة — وقاعدة انطلاق — من جهة اخرى — ان هي لم تكن حصيلة اتفاق متكافىء على برنامج عمل واضح ومحدد وقادر على مواجهة التحديات والمهمات التي تطرحها ظروف المعركة الراهنة ، وآفاقها المنظورة .

الاتفاق والاختلاف

ويكاد يكون من الحماس الذي لا مبرر له توقع تطابق كامل في وجهات النظر بين التنظيمات الفدائية المختلفة الآن ، ولكنه من التشاؤم الذي لا مبرر له — ايضا — الاعتقاد بانه لا يمكن توفر رقعة مشتركة بين مجموع التنظيمات الفدائية المقاتلة يمكن استخدامها بصورة راسخة كقاعدة عمل مشترك ، تتطور بالحوار المستمر نحو انجازات توحيدية او جبهوية اكمل .

بقلم غسان كنفاني

على ان هذه الرقعة المشتركة من التفاهم على برنامج عمل واضح لا تكتسب رسوخها ان لم تكن معززة بتفاهم مماثل على النقاط التي لا تتطابق فيها وجهات النظر ، وعلى صيغة من العلاقات ازاء مثل هذه النقاط : فمن الخطأ وضع برنامج للنقاط المشتركة ، واهمال طريقة معالجة التناقضات والتقاطعات التي يمكن ان تنشأ بسبب وجود نقاط غير مشتركة .

خارطة المواجهة

وذلك كله يعني :

— ان قيادة الكفاح المسلح هي صيغة تنفيذية لبرنامج عمل ، وبالتالي فانه من المستحيل تصور هذه القيادة وكأنها هي نفسها صيغة الوحدة الوطنية .

— ان اي برنامج عمل يصلح لان يكون قاعدة اتفاق مشترك لا يمكن اقراره بالتصويت طالما ان الخلافات ليست على الحجوم ، ولكن على نقاط سياسية وفكرية واستراتيجية ، والطريقة الافضل لاقراره هي من خلال حوار متكافىء ، يؤدي الى قناعات مشتركة .

— ان طبيعة الاخطار التي تواجه العمل الفلسطيني المسلح ، كما ثبتت علاماتها خلال الاسبوع الماضي ، تفترض ان يكون اي اتفاق مشترك بين التنظيمات الفدائية قائما على تفحص موضوعي لهذه الاخطار ، ومناقشة تفصيلية لها ، ووضع برنامج عمل واضح في مواجهتها ، ولا يجوز ان يكون الرد عليها من خلال اندفاع عاطفي غير محسوب .

— ان التناقض الذي ظهرت بوادره : بين الثورة الفلسطينية من جهة واسلوب الرجعية العربية في العمل ، من جهة اخرى ، وبين الثورة وبين القوى الامبريالية الكامنة لاسرائيل ، يستلزم في اي برنامج عمل موحد وضع تصور تفصيلي لمستقبل هذا التناقض ، ولوسائل مواجهته الان ، وفيما بعد .

— ان المحاولات الانفعالية التي شهدها الوطن العربي على امتداد دوله لتوظيف حريق المسجد الاقصى في غير مكانه الحقيقي، ولاخراج الثورة ، وبالتالي قضية الصدام مع العدو ، من آفاقها التقدمية الى مزايدات الرجعية العاجزة ، هي اشارة ذات اهمية قصوى لضرورة اتفاق التنظيمات الفدائية على موقف موحد من مفهوم الثورة ، وطبيعتها التقدمية ، وهذا المثال يجعل من مسألة الحوار حول الاستراتيجية الايديولوجية والسياسية للعمل الفدائي الفلسطيني ، مسألة تدخل في صلب اي مسعى لتحقيق اي صيغة فعلية للوحدة الوطنية الفلسطينية .

— ان المجلس الوطني الفلسطيني الخامس . الذي سينعقد في القاهرة خلال هذا الاسبوع ، مطالب بالا يكتفي بالصيغ العائمة والغضفاضة والمؤهلة ، بسبب من طبيعتها غير المحددة ، على كسب تأييد جميع الاطراف ، ولكن ان يتجاوز ذلك الى وضع صيغ محددة لبرنامج عمل تفصيلي ، يمكن ان يكون دليلا لتحقيق الوحدة الوطنية ، او الجبهة المتحدة .

ومن الطبيعي ان دليل عمل من هذا النوع لا يمكن تحقيقه بالاقتراع، ولا بالاحراج ، ولكن بفتح الطريق امام حوار متكافىء ينتهي الى وضع قواعد متفق عليها ، وبالتالي يصبح من المنطقي — في اطار هذه القواعد المتفق عليها — ان تقرر المخطوات اليومية بالاقتراع ، او بغيره من الوسائل .

ولكن الاقتراع — في غياب برنامج عمل — هو نوع من التفرد الذي تمارسه الاكثرية باسم الديمقراطية لارغام طرف آخر على الخروج من اطار برنامجه ، الذي يشكل بالنسبة له قناعات وممارسات لا يجوز التخلي عنها .

اي من الاحتمالات الثلاثة ؟

ومهما كانت نتيجة المحادثات التي ما تزال تجري عشية انعقاد المجلس الوطني ، فان الوضع الراهن يشير الى ثلاثة احتمالات :

— الاول : ان تشترك جميع فصائل العمل المسلح ، من خلال حوار متكافىء ، في ممارسة السلطة التشريعية التي تتوصل الى وضع برنامج عمل يتفق عليه الاطراف ، ويعبر عنه — بالوسائل والاعداد والحجوم المناسبة — في المؤسسات التنفيذية المنبثقة عن هذه السلطة التشريعية .

— الثاني — ان تنفرد جهة او جهتان من فصائل التنظيمات المقاتلة في تشكيل « معارضة » داخل اطار المجلس الوطني ، وفي هذه الحالة سيتجدد الحوار حول الحجم التمثيلي لهذه الجهة او تلك ، ومن الطبيعي ان يرتفع مرة اخرى الحديث عن عدد المقاعد : سواء كي يتضمن « المعارضون » قدرة اسماع رأيهم ، او يضمن الطرف الآخر قدرته على ابقاء المعارضة صوتا غير قابل لفرض قراراته .

— الثالث : وهو في حالة تعذر الوصول الى اي من هذين الاحتمالين ، اشتراك فصيل او اكثر من فصائل الكفاح الفلسطيني المسلح في اعمال المجلس الوطني بممثلين رمزيين ، يعني وجودهم الاصرار على مواصلة الحوار بغية التوصل الى صيغة يمكن الاتفاق عليها . وعدم قطع جسور هذا الحوار .

□ □ □

والى الآن — عشية انعقاد المجلس — لم يجر الوصول الى صيغة محددة ، الا ان الانباء غير المؤكدة تشير الى ان الاحتمال الثالث قد يكون هو الاوفر حظا !

في هذا العدد

- هل يتطور الصدام مع المصالح الاميركية في الوطن العربي ؟ (ص ٦ + ٧)
- اين وصلت مؤامرة الكيان الفلسطيني ؟ (ص ١٦ + ١٧)
- تفاصيل تنشر لاول مرة عن حرق الجامع الاقصى .. (ص ٨ + ٩)